



غصون الفجر



د. محمود الحليبي - السعودية

تقولين : نم فالليل أمسى مودعا
ألم تر أن الليل خفت ركابه
ألا تسمع الأطيّار تعزف لحنها
وحتام تقضي الليل جفناً مقروحاً
يساورني شك بأنك عاشق
والا فما بالي أراك مسهداً
أجبنني برب البيت لا صبر في دمي
فقلت : أجل عذراء حاملة الرؤى
خليلية يصغي لغنوتها المدى
فلا تعذلي صباً أذابت فؤاده
أجل إنه الشعر الأصيل حبيبتني
إذا عن لي بيت نهضت كأنني
أحب أصيل الشعر ويحي أحبه
فما الشعر عندي غير الف عشقته
بريء لساني من قصيد ملفق
تعودت نظم الدرأما خلافة
وعودتهم شعراً يذيب شغافهم
بأي معان أم بأية أحرف
وكيف وهذي هجر تاهت بنابع
تغرب عنها ثم عاد مولها
أتى مشعلاً للفكر والأدب الذي
ومد لها كف السماحة والندى
وأضحت له الأيام نشوى خصيبة
أبا مازن عذراً إذا الحرف عقني

وكادت غصون الفجر أن تتفرعا
وسافر يبغي غير ربعك أربعا؟
وتنقر شباك الصباح ليطلعا؟
وحتام تقضيه فؤاداً مروعا؟
وأنتك في أخرى غدوت مولعا
ولا هنتت عين ولا طبت مضجعا
لمثلك مثلي أن تخاف وتجزعا
تجنن إذ تبدو وتسحر برقعا
وشرقية في الحسن لا تقبل ادعا
وبات يقضي الليل سهداً وأدما
ألاحقه - والله - قفلاً ومطلعا
رزقت بمولود وداع به دعا
وإن سامني الصد المرير وجرجا
وأعذبه ما كان بكرة ممنعا
لأنني أعاف الثوب ثوباً مرقعا
فأرميه أرضاً بل وشلواً مقطعا
ويخلبهم قلباً وعقلاً ومسمعا
ألاقي بها جمعاً إلي تطلعا
غدا في سماء الفكر للشمس مطالعا
تسابقه الأشواق حباً ومنزعا
إذا مسه غصن النباهة أينعا
وحيا لها هذي البدور وجمعا
وقد شكل الأحاد منها ونوعا
رأى القول فيكم - لا محالة - مصرعا



أراني شغوفاً بالأريب ومولعا
وإني بكم للفضل ألفت مجمعا
ونبعاً لآداب وأصلاً ومرجعاً
تبیت لها رؤس الجهات صدعا
وخلفت أنفاً للحدثاء أجدعا
فخذة على أوتار قلبي موقعا
رأيت حمام الأنس حولي وقعا
وتبض حيي ما استجاش وأسرعاً
لشهم بماء المكرمات تزلعا
ينال بها أسمى الصروح وأرفعا
فكنت لها ندباً أريباً وأروعاً
حكيماً وقد أحييت فينا القنعا
عظيماً على عرش التواضع ربعا
وتأتي القوافي بين لحييه خضعا
وتدنو قلوب الناس منك لتسمعا
أناشدك المولى كفاك تواضعا
فكنت وإياهم فؤاداً وأضلعا
ولا زلت في خير عليها ممتعا
وأسفار أفكارني وما راع أو رعى
فإني امرؤ ما عاد إن قلبه سعى
جبال لجاءتني من الصدع خشعا
شذاها بأنفاس السرور تضوعا
ولاقت به غزلان فكري مرتعا
وصيرته حقلاً لشعري ومصنعا

وما شيمتي مدح الرجال سوى أنني
أحس بعشق للفضائل في دمي
وأبصرت فيكم للأصالة معقلاً
فلله كم يحوي فؤادك حكمة
ولله كم ناضلت من أجل ضادنا
ويا سيدي بيني وبينك موثق
أحبك، منذ لاقاك في الله خافقي
شفى الله عيناً قد رأتك وما غضت
لعيني من عينيك يا شيخ قصة
رأى العمر في نيل المكارم سلماً
وأسرجت يا شيخ خيولك للعلا
كريمياً وفي كفيك آثار حاتم
أنيساً وفي جنبك روح خفيفة
أديباً يغني الحرف فوق سطوره
تفوح الليالي منك عطراً وروعة
أبا مازن وارفع جبينك إنني
ملأت قلوب الناس حبا وهيبة
ألا أكرم الرحمن أرضاً حللتها
وأنت وقد أدركت أسرار يقظتي
أقلي علي اللوم يا أم صبيتي
أصمت؟ كلا؛ لو فعلت وأحرقت
أحبس أنفاسي وهذي ثغورهم
أغمض طريقي عن ربيع رأيت
دعيني فقد أهديت ليلي لمثلهم